

بَابُ الْحِكْمَةِ وَالْإِيمَانِ

﴿ سفر صاحب المجلة ﴾

سافر صاحب هذه المجلة من القاهرة قاصدا سوريا لزيارة الاهل والاقربين ، والاصدقاء والمجيين ، الذين حال يتنا وينعم الاستبداد إحدى عشرة سنة ، كان ذكر اسمه فيها خطرا عليهم ، يهددهم به من يستاء من أحد منهم ، قائلا : إما أن تفعلوا كذا أو تتركوا كذا وإما أن أبلغ الحكومة بأنكم تكتبون إلى صاحب المنار أو يكتب هو اليكم أو انكم على رأيه واعتقاده في حاجة الدولة والامة الى الاصلاح ونحو ذلك

سافرنا قبل صدور هذا الجزء واننا نكتب هذا في القطارين القاهرة وبورسعيد . وسنقيم في تلك الديار الى ما بعد عيد الفطر ثم نعود منها وندخل مصر إن شاء الله آمين وقد جعلنا أخانا وكيلنا عنا في إدارة المجلة ومطبتها وعهدنا الى إدارة البريد المصري أن تعده وكيلنا عنا وتدفع له كل ما يرد باسمنا من الرسائل والنداهم . فسى ان تكون غيرة قراء المنار الاخيار على إدارة المجلة في غيتنا أعظم مما كانت عليه أيام كنا فيها وأن يرسلوا اليها ما واجب عليهم من قيمة الاشتراك فان العمل فيها وفي المطبعة لا يزال مستمرا وإنا نعد من يرسل قيمة الاشتراك الى المجلة في غيتنا من أفضل أهل الذوق والوفاء لنا، بل نعدله ذلك جميلا يذكركم، وفضلا يشكركم،

﴿ مكاشفة في أول ولاية السلطان عبد الحميد ومدتها ﴾

كان كثير من أهل الاستانة وغيرهم من خواص العثمانيين يتحدثون بأن بعض المنجيين أو الصالحين بشر السلطان عبد الحميد بأنه يكون ملكا مدة ثلاث

وثلاثين سنة . وقد حدثني بعض كبار رجال الدولة في سياق الكلام على اعتقاد السلطان بالمشايخ الذين يدعون الكشف أو الجفر والزيرجه كأبي الهدي وعنايته بالشيخ ظافر - حديثاً غريباً يرويه عن السلطان نفسه وملخصه انه كان في المدينة المنورة رجل يعرف بأمين افندي الطرابزوني يشتغل بالجفر ويخبر بأمر المستقبل فأرسل اليه السلطان يتعرف منه هل يكون سلطاناً فقال انه يكون سلطاناً في سنة ١٢٩٣ قال هذا الشيخ ظافر وكان هو الواسطة بينهما فلما انبا الشيخ ظافر عبد الحميد (افندي) بذلك كبر عليه ان يصدقه لأن عمه السلطان عبد العزيز كان في صحته وعافيته وكذلك أخوه مراد افندي الذي هو ولي العهد وكان ذلك في أول تلك السنة ولكن لم يلبث ان صدق كلامه كما هو معلوم . قال الراوي هذا معنى ما سمعته بأذني من السلطان عبد الحميد وسمعت بعض الكبراء في الأستانة يزيدون في الرواية قائلين ان أمين افندي حدد مدة ملكه بثلاث وثلاثين سنة فقال يملك أو يحكم ٣٣ سنة

ومن يتذكر أن السلطان ولي في شعبان سنة ١٢٩٣ يعلم ان المدة قد تمت بحسب السنين الهجرية ويحتمل ان يقال في تأويل الشق الثاني من الخبر ان السنة الثالثة والثلاثين قد كانت خاتمة لحكم السلطان بنفسه وقبضه على زمام السلطة بيده فان إعلان الدستور قد حول الحكم الى الوزارة ومجلس الأمة . ولعل السلطان نفسه يفكر في هذا التأويل فينشرح له صدره إذ كن ممن يصدق أمثال هؤلاء القائلين لا سيما بعد ان صدق الخبر فيما يتعلق بأول الولاية . وأما من لا يبالى بهم صدقوا أم كذبوا فلا يحتاج الى تأويل . وقد ذكرت هذا الخبر قبل إعلان الدستور لكثيرين وبعده لكثيرين منهم أصحاب المقطم .

﴿ الاحتفالات بالدستور العثماني ﴾

احتفل العثمانيون عامة بالدستور في بلادهم وفي كل بلد يضم طائفة منهم في مشارق الأرض ومغاربها وقد كان السرور بالدستور مدرسة للثرية والتعليم تعلم فيها ألوف من العثمانيين الخطابة وتربوا على الوفاق والمحبة ولكنها كانت مدرسة لا كالمدراس :

كان تعليمها يشبه الوحي وتربيتها تشبه الآيات والمعجزات فانها قد علمت الخلق الكثير في يوم واحد ورتبت الشعوب المختلفة في الاجناس واللغات والاديان والمذاهب والتقاليد والعادات في ساعة واحدة

لوصافح المسلمون النصارى في سلانيك والاسانة ومصر فقط لكان لقاتل أن يقول ان ذلك أمر طبيعي حصل بالسعي في الزمن الطويل فان احرار العثمانيين الذين على هذا الرأي كثيرون جدا في هذه البلاد وهم يسمون له من قبل . ولو واقفهم مثل أهل بيروت والشام لقال ذلك القاتل ان أهل هذين البلدين على مقربة من أهل هاتيك البلاد فيما ذكر من وجود الاحرار العقلاء المحيين للاصلاح فيهم ومن وقوفهم في أقرب وقت على ما كان من اخوانهم في هاتيك الامصار التي سبقتهم عملا وسعيًا الى ذلك فلم يلبثوا ان جاوورهم او اتبعوهم

ولكن ماذا يقول ذلك القاتل في مواقعة عمل أهل جدة (ثغر الحجاز) وأهل البرازيل وأهل الأرجنتين لعمل أهل الاسانة وسلانيك ومصر والشام والعراق في وقت واحد وهم لا يطلون من أمرهم في ذلك شيئاً ؟

كتب اليّ وجيه من مسلمي جدة كتابا يشرح فيه ما كان من أمر أهلها في الاحتفال بالدستور على الرغم من والي الحجاز راتب باشا الظالم الملحد في الحرم الذي كان يومئذ فيها كاتما لنبأ الدستور ثم مشطاً اللهم عن الاحتفال به بعد ان أعلنته للناس جمعية الاتحاد والترقي . فقد قال الكاتب ان المسلمين والنصارى قد تزاورا وواتقوا في ذلك الاحتفال وطفق كل فريق يهني الآخر . وذكروا أموراً أخرى منها حسن تأثيره في نفوس الاعراب ومنها بعض مفاصد الوالي واتفاقه مع الامير الشريف . وقد أوقفنا على هذا الكتاب بعض محرري الأهرام والمقطع فلخصوه في الجريدتين

وكتب الينا جورج افندي حداد مؤسس شعبة جمعية الشورى العثمانية في البرازيل كتابا في الاحتفال الذي قام به العثمانيون في سان باولو قال فيه : ان الأرمن الذين هنا لم يكونوا يكلمون السوريين ولا يباشرونهم فلما جاء نبأ الدستور أقبل بعضهم على بعض متعارفين متوادين وانتظم موكب الاحتفال من المسلمين والدروز والنصارى من الأرمن والسوريين وغيرهم . فهل يمكن ان يكون هذا

وذلك بتواطؤ أو تقليد؟ وذكر انه اجتمع للقيام بالاحتفال نحو ألفي سوري ومئة أرمني في أعظم مسرح في سان باولو وكانت الموسيقى العسكرية تشب من نار حماسهم وتضاعف سرورهم وجدلهم ثم انبرى للخطابة فريق منهم وخطب هو أيضا بالأصالة عن نفسه وبالنيابة عن إخوانه الأحرار مؤسسي جمعية الثوري العثمانية في مصر قال: « ثم سار الموكب تتقدمه الموسيقى وهو رافع راية عثمانية كبيرة جدا صنعت لهذا الاحتفال خاصة الى دار القنصلية العثمانية ومد ابصرهم القنصل رفع الراية العثمانية وجعل يحيمهم بها وقد صعد اعضاء لجنة الاحتفال الى مكان القنصل وهناك بعضهم وقدم اليه عريضة طولها ٨٥ ستمترا وعرضها ٥٠ فخواها الشكر للسلطان على رضاه باعادة نشر القانون الأساسي ونيل شعبه للحرية وينا كانت القنصل يخاطب الاعضاء طلب الجماهير منه ان يشرف عليهم من إحدى النوافذ ويظهر ان الرجل من أرباب الحزب المحافظ وممن تأصلت في نفوسهم الكبرياء لانه لم يحفل بالطلب ولم يلب النداء فهاج الناس واضطربوا وصاحوا ان مولانا السلطان خاطب الشعب من النافذة مظهراً الرضى والسرور فكيف تأتي ذلك وانت من صفار مستخدمي دولتنا العلية؟ فاضطر القنصل لمخاطبتهم والاعتذار اليهم ثم تركوا دار القنصلية وطفقوا يطوفون بالشوارع العظيمة والحاصل ان هذا الموكب المؤلف من هذه الفرق التي كانت تحتدم في نفوسها نار العداوة والبغضاء وكره الواحدة منهن للآخرى كان من أجمل المناظر التي تسربها النفوس وتفتبط لها القلوب »

وجاء في جريدة أبو الهول البرازيلية في ختام كلامها عن هذا الاحتفال مانصه: « اهتمت الصحافة البرازيلية والظليانية بالمظاهرة وذكرتها باثناء والتكريم وجرائدنا العربية لم يهتم منها بالحفلة الا الميزان . فالافكار ذكرتها بأقل مما تذكر عن حفلة اكليل وطلبت من الله في الختام ان يجعل الحرية طويلة المكث في ديارنا ! والدستور ثابت القرار في وطننا !؟ وصاحب الافكار لم يحضر الحفلة وهكذا محرر المنارة الذي اهتم بالمظاهرة الخارجية أكثر من المظاهرة الداخلية اعتقاداً منه ان الأخيرة غير لازمة !

وقد اهتم جناب الاديب الياس افندي مسرة بالامر وطير الخبر تغرافيا الى

جريدته في باريس فاستحق الشكر . وتكرم جناب الشيخ سابا انطوري نزيل الريو فأفاد اللجنة ان شركة هافاس نقلت الخبر إلى لندن ثم إلى بقية العواصم الكبيرة وقد شارك إخواننا الارمن نزلاء سان باولو بهذا الاحتفال الذي كان فريداً في عظمته وقياسه في محاسنه

وفي الختام نثني بلسان الحرية على اللجنة التي رتبت هذه المظاهرة ونشكر الخطباء الذين حركوا في صدور الجمهور الحماس ونهني الشعب السوري في هذا العيد الكبير عيد الحرية والمساواة »

ولا تزال جرائد أمريكا الشمالية والجنوبية تأتينا وهي ملأى بذكر الاحتفال بالدستور في معظم الولايات والأرجاء الأمريكية واشتراك جميع الطوائف والملل في ذلك وهذا يؤيد ما ذهبنا إليه في صدر هذا المقال

وكتب الينا من المغارة في بلاد السودان محمد أفندي كمال الدين عدده سر تجار البندر يقول انه طاف بالناس بعد علمه بنبا الدستور ودعاهم إلى منزله للاحتفال ببعثة الدستور من قبره فلبى دعوته خلق كثير من السودانيين وأشخاص من السوريين الموظفين في الحكومة قتلوا عليهم خطاباً ألمّ فيه بماضي الدولة المظلم وما يرجى لها من النجاح والفلاح في المستقبل وشكر لرجال الأحرار الذين كانوا مبشورين في البلاد الحرة ومشتنين في اصقاع المصوير يسعون فيما اختطوه لأنفسهم وجعلوه نصب أعينهم حتى رجعوا إلى بلادهم والولاية النصر تحقق فوق رؤوسهم وجنود الظفر تحيط بهم ثم قام بعده طاهر أفندي الخائجي باشكاتب المركز وشكر للحاضرين تليتهم الدعوة للاحتفال بالدستور وطلب من صاحب الدعوة بلسانه ولسان الحاضرين ان يكتب لرئيس الأحرار مهتماً بهذا الفوز العظيم فأجاب الجمهور بأنه يعرف من رجال الأحرار صاحب المنار وانه سيكتب اليه بما رغبوا فتهنؤوا جميعهم للمنار وبعد ذلك انفرط عقدهم وهم مسرورون بهذه الحال شاكرون للداعي إلى الاحتفال

احتفال الارمن بذكرى شهداء الحرية العثمانيين

في اليوم الثالث من هذا الشهر احتفلت طائفة الارمن في كنيسها بالقاهرة باحياء ذكرى شهداء الحرية من جميع العثمانيين . فحضر الاحتفال خلق كثير من العثمانيين المقيمين بمصر ومن المصريين حتى اكتظت بهم الكنيسة على سمتها وبقي جمهور عظيم في رحبتها . وقد أقيم أمام محراب الكنيسة (المذبح) دكة كبيرة على جانبيها رايتان سوداوان بينهما راية بيضاء كتب عليها « اكرام شهداء الحرية العثمانيين » ووضع عليها مقاعد القسيسين والخطباء ، ووقف من دونها جوقة من بنات المدرسة الارمنية كنّ يلقين بين كل خطبة وأخرى نشيدا مؤثرا وضع لهذا الغرض

افتتح الحفلة عظيم القوم وأسقفهم وتلته فتاة أرمنية بخطبة أحسنت القاءها فحسن وقعها وخطب بعض فضلاء الارمن بالارمنية وبعضهم بالتركية فأحسنوا وأجادوا وصدق لهم القوم تصفيقا . وخطب الدكتور شرف الدين بك أحد مسلمي الترك الأحرار وهو من أفضل من عرفنا أخلاقا وآدابا فذكر ما كان بين المسلمين والارمن من المودة قبل حوادث الارمن المشؤمة المروقة حتى كان مما قاله ان المسلم كان يدعى الى الخدمة العسكرية فيذهب اليها تاركا امرأته وأولاده وأملاكه الى جاره الارمني يتعهدا في غيبته بما يجب كما كان الارمني يفعل مثل ذلك اذا احتاج الى مفادرة مكانه لامر ما . ثم ألمّ بذكر ما جرّ اليه الاستبداد من تلك الحوادث المشؤمة واستطرد منها الى ذكر الإصلاح الذي نشده الأحرار فأصابوه وقال ان المسلمين من الترك وسائر العثمانيين ليسوا متعصبين كما يصورهم بعض الناس فان أول حركة أتوا بها بعد أن نالوا الحرية في عاصمتهم هي زيارتهم لأضرحة الذين قضوا ضحية للظالمين .

وبعد أن أتم خطابه التفت الى أسقف الارمن ومن بجانبه من القسيسين نعاتهم واحدا بعد واحد فصققت الجماهير لهذا المنظر أضعاف تصفيقهم الكثير للخطيب ثم خطب الدكتور برتوكاليس بك الرومي العثماني باللغة الفرنسية فالدكتور

فارس افندي نمر بالعربية فأحسنا واجادا وكان كل اولئك الخطباء قد عهد اليهم بالخطابة وكتبت اسماؤهم في البرنامج المطبوع في بيان ترتيب الاحتفال كادوا يختمون الاحتفال بمد خطاب فارس افندي نمر لولا ان اقترح بعض المصريين الحاضرين على صاحب هذه المجلة الصعود الى الدكة والقاء شي مما يفتح عليه به . وقد تمنعت معتذرا بان الاحتفالات المنتظمة التي يعين فيها عدد الخطباء وموعد الالقاء لا يحسن ان يتطفل عليها ففطن لذلك بعض العثمانيين من الأرمن وغيرهم فاخطفوني من مجلسي وأصعدوني الى دكة الخطابة فلقائي الاستف والتسوس بالحفاوة وبعد العناق التفت الى الجمهور إجابة لما اقترحه المقترحون وقلت والتصفيق والتهنئة يكاد يبلغ عنان السماء ما خلاصته :

قد رأيتم أيها السادة اني اختطفت من مكاني الى هذا الموقف الذي أترفي وجداني تأثيرا لم يدع لتصور الكلام وتدييره مجالا فهما سمعتم مني فأنا معذور بالتقصير فيه قد رأيتم اني عاتقت هؤلاء الاحبار والقسيسين وأنا رجل من رجال الدين الاسلامي ولا بدع في ذلك فان شيخنا الاكبر شيخ الاسلام قد سبقني الى ذلك فمات البطرك في دار السلطنة وان القانون الاساسي الذي نلنا به هذه المساواة التي نحتفل بها لم ننله الا بمساعدة شيخ الاسلام الحال فقد روي لنا ان السلطان كان يريد قمع الحركة العسكرية الطلابية للدستور بالقوة فاستقى شيخ الاسلام في ذلك فلم يفته بل قال ان قتالهم غير جائز شرعا لانهم يطلبون طلبا شرعيا . وقد كان أحد مشايخ الاسلام من واضعي هذا القانون مع مدحت باشا واخوانه فهذا القانون قد وضع بشئى من أحد شيوخ الاسلام وأعيد الآن بمساعدة شيخ الاسلام فهو موافق للاسلام لا أقول هذا تقليدا للشيخين فاني أقول ما أقول في الاسلام عن علم وبصيرة ويعلم كثير من الارمن الحاضرين انني من مؤسسي إحدى جمعيات الاحرار التي سبقت غيرها الى التأليف بين جميع العثمانيين بالفعل قبل أن تفكر في ذلك جمعياتنا في أوروبا بل ان هذا الفقير هو رئيس اللجنة المؤسسة لهذه الجمعية التي من بعض أعضاء ادارتها أحد خطباء الارمن النجباء في هذا الاحتفال وانما احتججت بشيخ الاسلام السابق وشيخ الاسلام الحال تنويها بفضلها

وإقامة للحجة على من يزعمون ان المسلمين متعصبون أو ان دينهم ينافي الحرية
والمساواة - وعلى بعض الجاهلين من المسلمين الذين يظنون انهم بالتعصب الذميم
يخدمون الدين وإنما هم يحنون عليه بذلك
ثم انتقلت الى الكلام عن المساواة التي ابتهج بها العثمانيون كافة وبينت انها
مما جاء به الاسلام ثم قلت :

يقولون ان فرنسا هي أم الحرية والمساواة . نعم ولا ينكر فضل فرنسا أحد
ولكن العثمانيين أجدر من الفرنسيين بالفخر بالمساواة . ان فرنسا أمة واحدة ،
جنسها واحد ، دينها واحد ، مذهبها واحد ، لغتها واحدة ، تربيتها واحدة ، فأبي
غرابية في طلب عقلائها وفضلائها المساواة بين أفرادها بعد ان عرفوا ما لهم على
حكومتهم وما عليهم لها بل ما ينبغي ان تكون عليه وهم متفقون في هذه الوحدات
كلها ؟ لا غرابية ولا عجب

اما نحن العثمانيين فاننا قد جمعنا من اشقات الاجناس المتفرقين في كل شيء
مالم يجتمع في مملكة اخرى . نحن متفوقون في الاجناس والانساب ، متفوقون في
اللغات ، متفوقون في الدين ، متفوقون في المذاهب ، متفوقون في طرق التربية والتطعيم
- أو تقول في الجملة انا متفوقون في كل شيء . يتفرق فيه الناس . فان كنا على هذا
كله نطلب المساواة ونحتفل بنيلها في المعاهد العامة والمعابد الدينية فلا شك ان في
هذا مجالاً للفخر وموضعا للعجب

وقد يتساءل عن سبب ذلك ويظن انه مخاف قهوانين الاجتماع الانساني
لا سيما بعد أن برّح الاستبداد بنا تبريحا زاد في مسافات الخلف بين الطوائف
والمملات اتساعا وملا القلوب إحنة وبغضاء .

ولكن المتأمل في ذلك يرى له سببا طبيعيا ظاهرا وهو ذلك الاستبداد الذي
زاد في التفريق والتزيق ، ذلك الاستبداد نفسه هو الذي مزقنا أولا ثم جمعنا ثانيا ،
كيف كان هذا ؟ إنما كان بالمساواة في الظلم وتعميم الاستبداد فلولا ان الاستبداد
كان عاما واقعا على جميع العثمانيين بالمساواة في الجملة لما كان الاندفاع إلى طلب
المساواة بالدستور عاما

كان ظلم الاستبداد واقما على رأس المسلم والنصراني وغيرهما ، كان عاما شاملا
للتركي والعربي ، والارمني والكردي ، والالاباني والرومي ، فهذه المساواة هي التي
جمعت كلمة الاحرار العقلاء من جميع هذه الطوائف على تمني المساواة في العدل
الذي قرره الدستور ، وهو الذي نهض بهمة العاملين من هؤلاء الاحرار الى طلب
ذلك بكل وسيلة ممكنة ، وهو الذي هز أريحية جميع العثمانيين للاحتفال بالدستور
بعد الظفر به بسعي جمعياتهم وقوة ضباطهم وجيشهم — فاذا كانت المساواة في الشر
قد أدت الى هذا الخير فما أعظم قائدة المساواة وما أعم بركتها : فحيا الله المساواة
فنعن العثمانيين جديرون بالفخر بالدستور اذ غلبنا الأهواء والموانع الناشئة
من اختلافنا حتى ننناه ، جديرون بالاتفاق على الاحتفال به واقامة الاعياد العامة له ،
جديرون بالمحافظة عليه ، جديرون بالتبويه بالاحرار الذين نجحوا في نيته ، وبالذعاء
والذكر الحسن لمن مات منهم شهيدا في سبيله

ثم اعتذرت عن الاطالة بذهاب الوقت المعين وبما ألم بالحاضرين من الجوع
والسامة . وقد كان لكلام هذا العاجز من حسن الوقع والتأثير فوق ما يستحقه .
دل على ذلك ما ظهر على وجوه الحاضرين ولما كان من شدة التصفيق وتكرره ،
ثم النهائي التي سمعتها في الكنيسة وبعد الخروج منها ، في ذلك اليوم وبعده
بأيام ، وكان أكثر المهنتين تطلقا في التهنة واطراء في الثناء أولئك الخطباء البلغاء الذين
سبقوني بخطبهم المفيدة كالدكاترة شرف الدين بك وبرتوكاليس بك وفارس افندي
نمر حتى قال هذا الأخير ان تأثير هذه الوقفة أعظم من تأثير المنار في عشر سنين أي
فيما يتعلق بمشرب المنار في التساهل والدعوة الى الوفاق والوداد بين المسلمين
وغيرهم . ومن كرر لنا التهنة بذلك الدكتور نجم الدين بك عارف من فضلاء
الترك القيمين بمصر والعارفين بالعربية وجمهور احرار الارمن بل كان ابتهاج هؤلاء
عاما فنسأل الله تعالى أن يديم علينا مشر العثمانيين نعمة الوفاق والتوفيق لحفظ
الدستور والاستفادة التامة منه .